

وأما في الدراسة الموسومة باسم (السلالة والتاريخ) (وهي ترجع في صورتها الأصلية إلى سنة ١٩٥٢ ، وإن كان ليفي اشتراوس قد أعاد نشرها - بعد أن أجرى عليها بعض التعديلات - في الجزء الثاني من كتابه (الأنثروبولوجيا البنائية و الذى ظهر سنة ١٩٧٣) فإننا نجد شيخ البنيوية المعاصرة يزيد موقفه تحديدا من خلال مراجعة شاملة لتطور البشرية . وهنا نجده يستقرئ شتى المسلمات المتأصلة في أعماق الوعي العادي ، ومن بينها النظرية التطورية ، ودور الحضارة الغربية ، ونظرية العلاقات القائمة بين الانتاج والطبقات الاجتماعية ، لكي يضع بين أيدينا ضربا من الإصلاح العقلي « الشامل : Emendatio intellectus الذي قد يستثير إعجابنا ، حتى أن لم يكن مقنعا لنا دائما ! ويبدأ ليفي اشتراوس حديثه بالتعرض لنظرية (التطور) (التي هي في حد ذاتها كسب علمي) ، فيقول إن هذه النظرية ليست موضع شك في نظر أصحاب (علم الأحياء ، ولكنها في رأى أهل (الإثنولوجيا ، طريقة مغرية لا تخلو من مخاطر في عرض الوقائع ! والسبب في ذلك أنها تقوم على تزييف (أو تشويه) مزدوج : إذ هي - من ناحية تستند إلى عملية (توحيد) ، بحجة التعرف على (التنوع ، أو الاختلاف) ، ثم هي - من ناحية أخرى - تركز على ضرب من التشبيه أو الاستعارة . والحق أن القول بأن المجتمعات (تتطور) يفترض أنها - على الرغم من كل مميزاتها النوعية - تسير دائما في نفس المنعطفات ، وتمر دائما بنفس المراحل الضرورية المتعاقبة . والقول بأننا نستطيع أن نتعقب تطور هذا النمط أو ذاك من أنماط الفؤوس ، ابتداء من أكثرها بساطة حتى أشدها تعقيدا ، إنما ينطوى في الحقيقة على استخدام المجاز بيولوجي غير ملائم : لأنه إذا كان الحصان (يلد) الحصان ، فإن الفأس لا يلد (فأسا ! والواقع أن و التحولات « أو » التغيرات ، - في مضممار الحضارات - لا تتمثل على صورة مراحل ارتقائية ، تجعل من البشرية كائنا عضويا يمر بمرحلة الطفولة ، كما كان يحلو للقدماء أن يتصوروا ، وإنما لا بد لنا من التخلي نهائيا عن فكرة تصور التقدم البشرى وفقا لهذا النموذج الساذج ! ولكن ، هل يكون معنى هذا أن ليفي اشتراوس قد ذهب في رفضه لنظرية التطور إلى حد إنكار عقيدة ه التقدم » ، التي طالما آمن بها الفكر الغربي منذ عصر النهضة حتى أيامنا هذه ؟ هذا ما يرد عليه ليفي اشتراوس بقوله إنه ليس فى التاريخ البشرى تقدم متصل متجانس ، بحيث قد يصح لنا أن نقول ان هناك تطورات ، وآية ذلك أن الطريقة التي تتطور على نحوها و التقنية) ، غير الطريقة التي تتطور على نحوها و الأفكار الخلقية ، ، وغير الطريقة التي تتطور على نحوها (الأنظمة الاقتصادية) ، هذا إلى أن العلوم البيولوجية نفسها - اليوم - لم تعد تنظر إلى تاريخ الأنواع الحيوانية على أنه تاريخ موحد متجانس ، بل هي قد أصبحت تنظر إليه على أنه و تاريخ متكرر ، متضخم باستمرار ، ، بمعنى أنه لم يمر دائما بنفس المراحل ، بالنسبة إلى كل عائلة حيوانية ، وإلى كل نوع حيوانى ، وأنه من غير الممكن - بالتالي . - ادماجه تحت خطة وإن ليفي اشتراوس ليظهرنا على الصعوبات الجمة التي طالما ترددت فيها التصنيفات التقليدية التي كان أصحابها يتصورون وجود سلسلة متصلة من التطورات ،